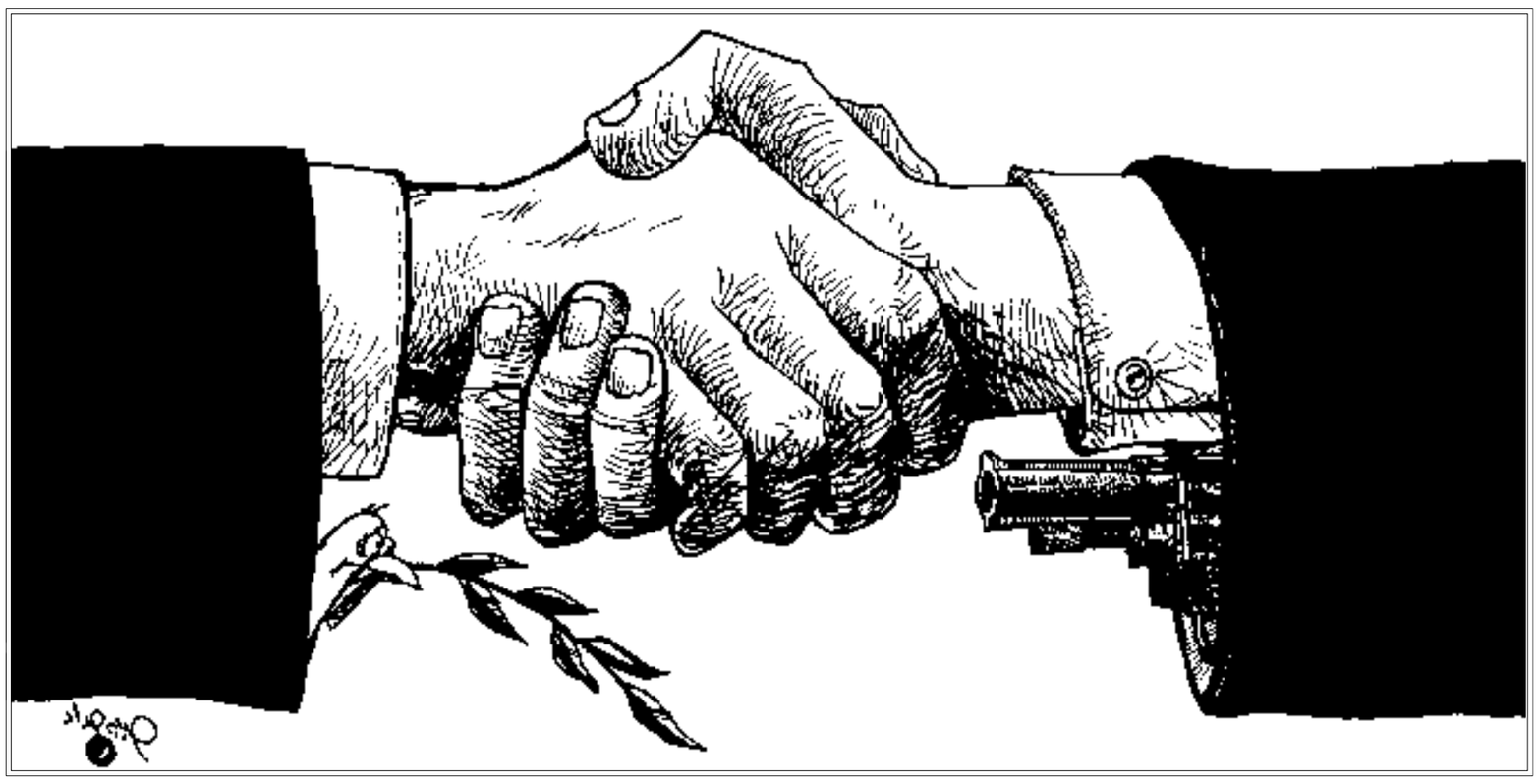

الهدنة... لماذا قبلتها قوى المقاومة وما هو مستقبلها؟

ياسر الزعاترة *

■ ثمة جملة من الاسباب التي دفعت قوى المقاومة وعلى رأسها «حماس» و«الجهاد» الى قبول الهدنة... نقول قبولها، لأن الحد الادنى من القناعة بها لم تتوافر على الاطلاق، نظراً لارتباطها الوثيق بمسار «خريطة الطريق» الذي تدرك قوى المقاومة انه لا يعد الفلسطينيين الا بأسوا بكثير مما قدمه مسار اوسلو، فضلا عما تنطوي عليه الخريطة من استعادة للايام السيئة الممتدة ما بين ٩٦ وحتى اندلاع انتفاضة الاقصى، حيث التعاون الامني وزج مجاهدي الشعب خلف اسوار الزنازين الفلسطينية، اضافة الى الاسرائيلية. والحال ان مقولة «اننا هُزمنا» التي اطلقها ابو مازن كمبرر للمسار المطروح كانت مرفوضة من قبل قوى المقاومة، فضلاً عن الشعب الفلسطيني.

تنطلق اسئلة الموافقة في بدايتها من مربع الموقف الشعبي، فالشارع الفلسطيني وان تحامل على جراحه رافضاً التراجع، ومصراً على مد المقاومة بخيرة ابنائه، الا ان ذلك لا ينفي حجم ما يعانيه من ضنك في العيش بلغ حداً لا يطاق. اما السبب في هذه الحالة فهو تلك المعادلة السيئة التي يعيشها الفلسطينيون بين الاحتلال المباشر والسلطة الوطنية.

خلاصة تلك الحالة التي تبلورت بعد ايار (مايو) ٢٠٠٢ هي عودة الاحتلال على نحو غير مباشر، وبقاء السلطة وغيابها في آن. فالاحتلال يدخل ويخرج وقتما يشاء من دون تحمل تبعات الاحتلال الكامل، سواء المدنية منها بالمسؤولية عن حياة الناس وحاجاتهم، ام العسكرية من حيث تسهيل مهمة الاشتباك المباشر معه حين يكون داخل المدن، مقارنة بدخولها وهي في حالة حظر التجول ومطاردة المقاومين بالاباتشي والـ اف ـ ١٦. ولا شك ان السلطة هي التي مررت هذه المعادلة باصرارها على البقاء الشكلي املاً في اوضاع افضل تاتي كما هي العادة عبر التفاوض والتنازلات، وهو ما يلوح الآن في الافق بقصة غزة ـ بيت لحم اولا التي تشبه مسار اوسلو الذي بدأ بعنوان «غزة ـ اريحا أولاً».

ثمة سبب آخر يتصل بحاجات المقاومة الضرورية للاستمرار في كل الاحوال، ومدى توفرها هذه الايام، والتي تقف الوحدة الداخلية وشبه الاجماع على المقاومة في مقدمتها، ذلك ان الانقسام ووجود فريق مهم يناهض المقاومة ويبدي استعداداً للتعامل مع الاحتلال يجعل الاستمرار صعباً الى حد كبير كما حصل خلال ما بعد قمة شرم الشيخ ١٩٩٦ وحتى اندلاع انتفاضة الاقصى.

من العوامل الضرورية الاخرى، وجود فضاء عربي داعم، ولو في الحد الادنى، وهو الفضاء الذي يتوافر حين يكون الموقف الدولي معقولاً. والحال ان كل ذلك يبدو سيئاً هذه الايام، فالموقف الاميركي المتغطرس والمنحاز بقوة للدولة العبرية يلقي بظلاله على الموقف الاوروبي، وقبل ذلك على الموقف العربي الذي تراجع على نحو ملحوظ بعد الاحتلال الاميركي للعراق وانطلاق موجة التهديد بحق سورية وايران، وربما الدول الاخرى وعلى رأسها السعودية ومصر، وان تم ذلك على نحو اقل وضوحاً ومباشرة. والخلاصة ان الموقف في غاية الصعوبة، وحرب بوش على «حماس» بلغت أوجها خلال الاسابيع الماضية، وبدت مشابهة للحرب على (القاعدة) في مرحلة سابقة.

العوامل السابقة دفعت قوى المقاومة و«حماس» على وجه الخصوص ومعها الجهاد الى الموافقة على مبدأ الهدنة، حيث رأت انها بذلك تنفس الموقف السياسي، سيما وان البديل هو الدخول في مشكلة مع السلطة العازمة على المضي في خريطة الطريق اياً كانت ردود افعال الآخرين حيالها. ثم هناك الاستجابة للمساعي العربية وعدم الظهور بمظهر من يدير الظهر للجميع، مع ادراك لجملة الظروف الموضوعية التي انتجت هكذا معادلة،. اضافة الى بعد آخر يتصل بالأمل في استثمار فرصة التوقف في اعادة لملمة الصفوف بعد الضربات الموجعة التي تلقتها، وبخاصة في الضفة الغربية.

في هذا السياق، ثمة من يعتقد بأن تهديد قادة الحركة السياسيين قد أدى الى الهدنة، وهو ما ليس صحيحاً على الاطلاق لأن التوجه نحوها كان موجوداً قبل محاولة اغتيال الرنتيسي، فضلاً ان تاريخ الحركة لا يقول بذلك، بدليل ان قادة سياسيين لا يقلون اهمية عن الرنتيسي قد سبق واغتيلوا مثل جمال منصور فيما اعتقل الآخرون كما هو شأن ابرز القادة السياسيين في الضفة الغربية.

النص الذي اعد للهدنة كان متقنا الى حد كبير، فقد تجاهل تماماً مسألة خريطة الطريق كما لو كانت غير موجودة، وهو ما لم يعجب بعض قادة «فتح»، ما دفع حماس والجهاد الى اصدار بيان مفصل. وقد حدث ذلك الى جانب وضع اشتراطات لها اهميتها البالغة للناس وللحركتين، مثل الوقف الفوري لكافة اشكال العدوان واطلاق سراح جميع الاسرى.

بالنسبة لمواقف الاطراف الاخرى يبدو موقف السلطة هو الاهم على هذا الصعيد، ذلك ان الهدنة على كثرة اشتراطاتها وصعوبتها لم تحل دون قبولها على نحو حسن، نظراً لدلالتها على تمرير مسار «خريطة الطريق» وان سكتت عن هذا البعد او تجاهلته. اما الموقف الاسرائيلي الاميركي فقد اظهر عدم الاكتراث، فيما لا يبدو صحيحاً انه استاء من الهدنة، لان حاجة المجتمع الاسرائيلي اليها تبدو ماسة.

عربياً كان ثمة ارتياح لمرور الهدنة، فهي تخفف الضغوط لمطاردة حماس وحركات المقاومة ووصمها بالارهاب. ولا شك ان سكوت عرفات وتمريره للمسار القائم يعود الى دور مصر وضغوطها عليه، وهو الذي كان يناور لاسقاط محمود عباس من خلال اسقاط المسار الذي تبناه، أي «خريطة الطريقة».

ويبدو سؤال المستقبل، مستقبل الهدنة، وبالضرورة خريطة الطريق هو الاكثر اهمية في هذا السياق، ولا شك ان اسئلة كثيرة تتفرع عن هذا السؤال، لعل اهمها ذلك المتصل بالرد الاسرائيلي القادم. اذ ان من غير المتوقع ان تبادر حكومة شارون الى تنفيذ الشروط التي وضعتها قوى المقاومة، وعلى رأسها الافراج عن جميع المعتقلين، فمثل هذا الامر لم يحدث ايام اوسلو على رغم تعاون امني رهيب من طرف السلطة ووقف شبه شامل لاعمال المقاومة لسنوات ثلاث.

ثم ماذا لو لم يلتزم شارون بالشق الاول ممثلاً في وقف الاجتياحات والاغتيالات؟ هل سترد قوى المقاومة وتغدو في حل من التزامها؟ الن تقول السلطة عند ذلك ان الرد سيعطي المبرر لشارون للتنصل من التزاماته؟ من الصعب القول ان شارون سيلتزم تماماً بشروط الهدنة، غير ان من الصعب القول ايضاً انه سينسفها نسفاً، سيما من زاوية الشرط الاول المتعلق بالاجتياحات والاغتيالات. اما شرط الافراج عن المعتقلين فيمكن اخضاعه للمساومة والمماطلة، عبر القول انه يحتاج الى جدولة، فضلا عن حاجته لاختبار نوايا قوى المقاومة. والحال ان مضي الشق الاول من الخريطة يشكل مصلحة للاسرائيليين.

ولا شك ان ذلك يعتمد على حجم الوعود التي منحتها السلطة للطرف الاسرائيلي، وما اذا صحت تلك التسريبات التي تقول ان محمد دحلان قد وعد بالعمل على تفكيك بنية المقاومة ما ان يشتد عوده الامني في غزة وصولاً الى الضفة.

يعتمد هذا البعد بالطبع على موقف حركة فتح، وما اذا كان فريق ابو مازن ـ دحلان، سينجح في جرها الى مربعه، او عدد من كبار رموزها في اقل تقدير، وهو امر لا يبدو مستبعداً باساليب الترغيب والترهيب، واذا نجح المسعى فإن مراهنة قوى المقاومة على عقلانية فتح ووجود ابو عمار الكاره لنجاح غريمه تغدو واهية.

قوى المقاومة تدرك بدورها انها في وضع صعب، وان مجرد اطلاق الهدنة لا يعني ان الظروف قد تغيرت، او ان الضغوط قد نفست، ما يعني ان استمرار الهدوء قد يكون ضرورياً، واقله حصر العمل داخل الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ في حال الضرورة كرد على هجوم اسرائيلي.

من هنا يمكن القول ان خطوات شارون السيئة المتوقعة، ومعها اصرار فتح على المسار السياسي في كل الاحوال، ستدفع قوى المقاومة الى نوع من التهدئة الذاتية ما دام الموقف في حدود الاحتمال حتى لو لم يفرج عن جميع المعتقلين، فيما ستبقى انظارها مصوبة نحو الظرف الدولي وبالذات نحو العراق الذي يمكن ان يحول انتصار الاميركان الى ورطة، وما ينبني عليه ذلك من امكانية تراخي القبضة الاميركية على الوضع العربي والدولي، والفلسطيني بالضرورة، حيث يمكن للمقاومة ان تعود الى بريقها الاول وباجماع وطني افضل ودعم عربي معقول، سيما وان المدى الزمني للدولة الموعودة في «خريطة الطريق» ليس بعيداً، كما كان الحال في اوسلو.

* كاتب من الأردن.

أميركا + العراق + ايران = المأزق!

عادل مالك *

■ قبل اندلاع الحرب الاميركية ـ البريطانية على العراق في العشرين من مارس ابلغ الرئيس العراقي المخلوع صدام حسين صحافياً تعود علاقته به يوم كان لاجئاً سياسياً في مصر، ما يأتي: «اصارحك القول، نحن لسنا اقوى من الولايات المتحدة الاميركية، واتوقع ان الحرب لن تنتهي لصالحنا لكنها ستطول عشر سنوات وسيسعد الشارع العربي بذلك، وسنكبدهم خسائر كبيرة وسنجعل كتب التاريخ تنسى تورطهم في فيتنام وتتذكر تورطهم في بغداد».

وعندما نجري مقارنة بين هذا الكلام وما تشهده الساحة العراقية في كل يوم نتساءل ما اذا كان صدام حسين توقع ما سيحدث وكأنه يقرأ من كتاب؟ وبقطع النظر عن «النبوءة الصدامية» فإن متابعة ما يجري في العراق من تعرض القوات الاميركية والبريطانية الى هجمات يومية يوحي بأن الحرب التي كان يجب ان تقع يوم السقوط الغريب والمريب لبغداد، تحدث اليوم علماً بأن هذه الهجمات على رغم جرأتها لم تأخذ بعد شكل المقاومة النظامية لقوى جاءت باسم تحرير العراق من نظامه القمعي والشمولي فإذا بها تغرق تدريجياً في رمال ووحول الاحتلال، خصوصاً اذا علمنا ان القوات الاميركية والبريطانية فقدت في «حالة السلم» اكثر مما فقدت في حالة الحرب.

وفي العودة الى الذاكرة لاستحضار بعض الماضي غير البعيد نلاحظ بأن الرئيس جورج دبليو بوش لم يعلن عن نهاية رسمية للحرب في العراق، بل اكتفى بالحديث عن وقف العمليات العسكرية الكبرى والواسعة النطاق. ولعل ما يجري الآن يجعلنا ندرك اسباب هذا التحفظ، واللجوء الى تعبير مطاطي ليس هو بنهاية حرب من جهة، وتوقع مواجهات مع «بقايا فلول النظام السابق» من جهة اخرى.

ولكن اذا كانت واشنطن صاحبة «رؤى» بهذه الدقة وتوقع التطورات الدرامية قبل ان تحدث فلماذا لم تعمد الى اتخاذ الاجراءات الكفيلة بمنع ما تتعرض له قواتها من اعتداءات متكررة سواء في بغداد او في سائر المحافظات العراقية؟ والحقيقة المؤلمة التي لا بد من الاعتراف بها في ضوء كل ما يجري وسيجري ان جميع الاطراف المتداخلة في الوضع العراقي بلغت المأزق.

فمن جانب قوات التحالف اصبح البقاء هو مشكلة، كما بات التفكير في الانسحاب مشكلة من نوع اكبر.

والمأزق الآخر يتمثل بالقوى التي تدعي مقاومة الاحتلال. فالأمر المؤكد ان العناصر التي تقوم بالهجمات المنظمة على القوات الاميركية والبريطانية تنتمي الى الفريق المتضرر من حدوث اي تغيير في التركيبة العراقية ومن التي لن تجد لها موقعاً في «العراق الجديد».

لكن الممارسات والارتكابات التي تقوم بها هذه العناصر لا تلقى تأييداً كبيراً وواضحاً من سائر الاطراف العراقية الفاعلة على الارض التي تتساءل بدورها عن الجهات التي تقف خلف هؤلاء المقاومين ولحساب من يعملون؟ وما هو برنامجهم السياسي؟ اذ اتضح حتى الآن ان هذه العناصر التي تختبئ وراء المقاومة المسلحة للاحتلال هي محترفة وليست هاوية كما ان أنواع الاسلحة والذخائر التي تستعملها لا تتوافر بسهولة لدى الافراد العاديين، الأمر الذي يشير الى عقول ميليشاوية توجه هذه المقاومة والتي يعتبر كثيرون من العراقيين ان كل هذه الاعمال والمواجهات المسلحة مع قوات التحالف لا تخدم قضية العراق ولا العراقيين بوجه الاجمال.

وهنا يشار الى نتائج الاستفتاء الذي اجرته احدى المؤسسات الوطنية واظهر ان ما يزيد على سبعين في المئة من افراد الشعب العراقي لا يفضلون انسحاب القوات الاميركية والبريطانية على الفور باعتبار ان مثل هذا التطور لو حدث سيغرق العراق في صراعات سياسية وعرقية ومذهبية نظراً إلى عدم تمكن شرائح المجتمع العراقي من الاتفاق على الصيغة المستقبلية لحكم البلاد سواء لجهة اختيار هيئة استشارية أو مجلس سيادة، أو صياغة دستور جديد أو اللجوء الى اجراء انتخابات لمعرفة حقيقة ما يرغب به العراقيون وكيفية التوفيق بين هذه التعددية القائمة والحفاظ على تناغم وطني في ما بينها. وحتى لا يترحم الشعب العراقي على حكم صدام حسين الساقط في هذه المرحلة المبكرة، فإن الجانب الاميركي اولاً والبريطاني استطراداً يتحملان المسؤولية الكبرى عن حالة الفلتان والفراغ الرهيب القائمة في البلاد. اذ لا يمكن تقديم الاطروحات عن الديموقراطية والبطون خاوية، والتيار الكهربائي مقطوع في معظم الاحيان، كذلك لا يمكن تسريح جيش بكامله قبل التفكير بمحاذير مثل هذا القرار سواء على صعيد تعميم أزمة البطالة او بناء نواة الجيش العراقي الجديد.

كل هذه الامور تشير الى وجود اميركي متخبط ومتعثر ركز كثيراً على تفكيك النظام العراقي، لكنه لم يمنح الأهمية نفسها للصيغة البديلة عن هذا النظام. او ان كل ما جرى التخطيط له في واشنطن على الورق لم يتطابق مع حقيقة التركيب العراقي وأدى ذلك الى حالة من الشللية لا تخدم المحتل ولا الذي احتلت ارضه. ويفيد أحد التفسيرات الاميركية التي تثير السخرية الى حد الاشمئزاز ان «المطلوب هو ابقاء الوضع في العراق على حاله من الاضطراب والتخبط لأشهر مقبلة آتية لتقترب قليلاً من معركة التجديد للرئيس بوش لولاية ثانية في البيت الابيض وان اصول اللعبة الانتخابية تقضي بايهام الناخب الاميركي بوجود خطر داهم على أمنه وذلك لتبرير بقاء القوات الاميركية اطول فترة ممكنة في العراق تحت شعار الحماية وضبط الاوضاع والقضاء على المقاومة!...

صدق أو لا تصدق... هذه قناعة موجودة داخل بعض اجنحة الادارة الاميركية الحالية وهي غير بعيدة التصديق عن جنون من يُطلق عليهم «المحافظون الجدد».

ولأن هذا الفريق غير مكترث بعواقب هذه السياسة ونتائجها الكارثية سواء على الولايات المتحدة نفسها او على دول المنطقة فإن دائرة التورط والتعثر والتخبط مرشحة لأن تكبر عما هي عليه الآن أي التيمم من العراق نحو... ايران.

***

والعراق الاميركي! دولة اميركية مجاورة لإيران وعلى تماس الحدود معها. وتكاد تكون ازمة اميركا مع ايران في شأن امتلاك الاسلحة النووية تشبه الى حد ما منازلتها الشهيرة مع العراق حول اسلحة الدمار الشامل، ولو مع بعض الاختلاف في التفاصيل.

وتعبيراً عن الاهتمام الاميركي بما يجري حالياً على الساحة الايرانية عقد قبل بضعة ايام اجتماع ضم أركان الادارة في شؤون هذا الجزء من العالم.

وأظهرت مداولات هذا الاجتماع وجود اكثر من اتجاه حيال التعاطي مع الوضع القائم في ايران.

هنالك اتجاه يدعو الى استغلال فرصة التحركات الطلابية الاخيرة وتشجيع العناصر المعارضة للنظام لحمل هذا النظام على اتخاذ خطوات اكثر وضوحاً باتجاه الاصلاح.

واتجاه آخر ينادي بترك التجاذبات الداخلية ضمن التيارات الايرانية تتفاعل وهذا بدوره «سيفرز وضعاً جديداً».

اما الاتجاه الثالث فمن رأي اصحابه ان طبيعة النظام في ايران غير قابلة للتغيير او التطوير بل المطلوب «صيغة راديكالية تقوض النظام القائم».

لكن أنصار هذا الاتجاه توقفوا عند فكرة النظام البديل حتى لا تتكرر «مأساة الشاه» كما اطلقوا عليها، وحتى لا يتكرر «النموذج العراقي»، أي تفكيك النظام دون تحضير البديل.

أما بالنسبة للوضع الداخلي في ايران، فالصحيح ان هذا الوضع تعايش مع وجود تعددية في الآراء وفي اسلوب حكم البلاد، لكن الأمور تتغير بسرعة وعلى طهران من رأس الهرم الى القاعدة، ان تقرأ المتغيرات الاقليمية والدولية بصورة صحيحة. وما العريضة التي وقعها ما يزيد على مئة وثلاثين عضواً في مجلس الشورى الايراني والتي تطالب «تجرع السم» حتى لا تفاجأ بأحداث مماثلة لما حدث في العراق! سوى مؤشر واضح وبالغ الدلالة والخطورة لحجم التغيير المتنامي داخل ايران. ولا يكفي للمرشد علي خامنئي ان يتهم كل متظاهر او مطالب باصلاحات انه من «المرتزقة الاميركيين».

ان الطلاب في ايران في العادة يمثلون طلائع التغيير وليسوا أدواته. لكنهم عندما يتحركون بهذا الاصرار والاتساع والذي تخطى العاصمة طهران، فلا يمكن الاستهانة بجدوى وفعالية مثل هذا التحرك وما الذي ينطوي عليه.

في هذا الوقت تتواصل عملية «عض الاصابع» بين ايران والولايات المتحدة. وما حملة الحاكم الأميركي للعراق بول بريمر ضد «التدخل الايراني» في الشؤون العراقية إلا مؤشر على التصعيد الذي يخشى ان يتحول من النوع الكلامي الى ما هو أخطر من ذلك بكثير. وفيما ترى بعض الاوساط ان وضع الرئيس الايراني محمد خاتمي يشبه الى حد بعيد وضع الرئيس ميخائيل غورباتشوف من حيث محاولته القيام بـ«بيروستريكا» ايرانية واصطدام جهوده الاصلاحية بهرمية السلطة في طهران، فإن تشدد كبار المسؤولين في الموضوع النووي قد يدخل تعديلاً جذرياً على المسار الاميركي في التعامل مع بقية اعضاء «محور الشر».

ولكن يبقى ان دول هذا المحور من العراق ـ على رغم الاحتلال ـ بالاضافة الى ايران وصولاً الى كوريا الشمالية تسعى جاهدة لأن تثير اكبر قدر من العراقيل والصعوبات بوجه «المدعي العام الاميركي» الذي فوض نفسه اتخاذ صفة الادعاء الشخصي علي كل دول العالم تحت شعار محاربة الارهاب.

اميركا ـ العراق ـ ايران: الكل بلغ المأزق حيث الانسحاب، هزيمة وانحسار وانكسار، وحيث المواجهة، المزيد من التورط والدمار.

وأحدث مفردات النزاع القائم بين اميركا وايران وصف الرئيس الايراني السابق هاشمي رافسنجاني الولايات المتحدة بأنها «ديناصور بعقل عصفور». وتوقع وضعاً في العراق «أسوأ من فيتنام».

أما دونالد رامسفيلد فرفض الاعتراف ان تكون القوات الاميركية والبريطانية تواجهان «حرب عصابات او فيتنام جديدة»، بل شبه الوضع في العراق بـ«الطريق الصعب الذي سارت فيه الولايات المتحدة بعد اعلان استقلالها عن بريطانيا وقبل إقامة دستور جديد وانتخاب رئيس للبلاد». بالمناسبة هذه المرحلة استمرت ثماني سنوات، وفي معلومات اخرى ثلاثة عشر عاماً. فهل يريد السيد رامسفيلد الايحاء بأن الوضع الراهن في العراق سيبقى على ما هو عليه الآن لفترة مماثلة؟

* كاتب لبناني.

في أصل "الوشاية"

■ أول ما يخالج الأتراك بعد المواجهة «الفضيحة» لجيشهم الذي اعتقل الأميركيون بعض ضباطه في شمال العراق، أن اصل «الاسفين» مع الحليف، كردي عراقي، خصوصاً أن نتائج الحرب التي خاضها «التحالف» لم تبدد شكوك أنقرة في نيات إدارة الرئيس جورج بوش وخططها لمرحلة ما بعد صدام حسين. فالخاصرة الشرقية لم تكن تهدد الأتراك في عهد صدام، بل هم ابتدعوا وسائل لضبط ايقاع العلاقات على وتر المصالح المتبادلة، وكذلك العداوة المشتركة لأي كيان كردي في المنطقة. أما بعد الحرب، وفي عهد احتلال العراق وانتشار ١٥٠ ألف جندي أميركي في أراضيه، تكاد ورقة المصالح بين واشنطن وأنقرة أن تكون صفراً هناك.

بديهي أن الاحتلال ليس بحاجة إلى خدمات رجب طيب أردوغان، هو الذي نجح في الافلات من صفوف «التحالف» فحفظ ماء وجهه أمام نواب حزبه المنتصر في الانتخابات، وتفادى احراج زعامته الطرية، قبل أن تهب عاصفة الحرب لإطاحة صدام.

والبديهي أيضاً أن قصة المفاوضات العسيرة بين واشنطن وأنقرة، على فتح الجبهة الشمالية، قبل الغزو الأميركي – البريطاني، لم تترك لدى إدارة بوش سوى غيظ مكبوت، لأن «الشريك» التركي خيّب آمالها وأحبط خطط فتح بوابة الأناضول أمام قوات الغزو. صحيح أن البنتاغون وجد البديل، ولو بتكلفة لوجستية أعلى، لكن الصحيح أيضاً أن تلك الشراكة لم تبق في منأى عن عاصفة الحرب، على رغم دهاء اردوغان في الافلات من مواجهة الاستحقاق. كانت تلك طعنة صامتة للأميركي الذي وجد نفسه في مواجهة تساؤل عن قيمة حليف يأخذ ويطلب ولا يعطي.

وجه آخر لاختلال ميزان المصالح بعد الغزو، ان أنقرة لا تملك في العراق سوى ورقة هزيلة اسمها «حقوق التركمان»، فيما الحاكم الأميركي بول بريمر يمسك بكل خيوط القرار، بصرف النظر عن صلابة خيوط الحوار مع الفئات العرقية والسياسية في البلد، والتي يرخيها حين يشاء، ليشدها في استعراضات القوة ضد كل الأحزاب. وتتضخم الكوابيس لدى اردوغان وحزبه في ظل الضبابية التي يفضلها «التحالف» لعدم كشف خطط واضحة للمستقبل السياسي للعراق، بل يبقى الكابوس الأكبر لدى الجيش التركي الذي «ناضل» على مدى عقود لاستئصال الحلم الكردي... ولا هو ولا دولة أتاتورك في عهد اردوغان «الإسلامي المعاصر» يسرهما أن تهب رياح حقوق الأكراد مجدداً من شمال العراق، فكيف إذا هبّت بقرار أميركي يفرض بقوة الاحتلال؟!

فضلّت واشنطن وأنقرة منذ انتهاء الحرب ألا تنقلان إلى العلن أزمة الثقة التي تحاصر شراكتهما، منذ خيبة الأمل بالخاصرة الشرقية للجبهة الشمالية. وصمت الجانبان بعد «احتكاكات» في الشمال الخارج من الحرب بأقل الأضرار، إلا للجانب التركي الذي لا ينسى ان استغناء القيادات الكردية العراقية عن «خدماته» ووساطاته يجرعه مجدداً كأس المرارات والشكوك.

وفي كردستان الثانية، حيث كان جيشه «يتنزه» على مدى سنوات طويلة لتعقب مقاتلي أوجلان، من دون أي حساب، تُلوى ذراعه بقبضة الأميركيين. وليس مفاجئاً أن تبرر أنقرة «الفضيحة» على أيدي الحليف، بـ«وشاية» كردية من الشمال، لكن ما لا يمكن أن تخشى منه واشنطن هو غضب أردوغان مهما رفض «السكوت».

أبعد بكثير من حقوق الأكراد العراقيين واشراكهم في القرار السياسي للعراق الجديد، أن تركيا ربما تجاهلت تبدل حاجات الحليف الأميركي بعد الحرب، بمقدار ما فرض الغزو من معطيات عسكرية ومعادلة لخرائط جديدة. والمفارقة أن اطاحة صدام لم تعوّضها بعد عن الشريان الاقتصادي الذي لم ينقطع على رغم سنين العقوبات، ولا «حلف بغداد» الجديد الذي تريده إدارة بوش بأنت ملامحه، ليهدئ مخاوف الأتراك. وبهذا المعنى أيضاً ستتضخم كوابيسهم، كلما اقترب الأميركي من مرحلة التغيير في إيران... أي تغيير.

العقدة في واشنطن «تذاكي» اردوغان وقت الحرب من دون أن تنغمس أصابعه في دماء «التحالف»، وتنصله من فاتورة الشراكة. أما العقدة في أنقرة فهي البحث عن دور بعد صدام، لا تبدو إدارة بوش مستعدة للتنازل عنه لأي حليف. فكيف إذا كان «خائباً»؟

زهير قصيباتي

المقاومة من أجل صدّام!؟

■ طالما أن أميركا تقر قانونياً بأنها في وضع احتلال العراق، فإن المقابل الموضوعي لرفض الاحتلال هو المقاومة، أكانت منظمة وذات أهداف محددة، أم مجرد أعمال انتقامية ضد تصرفات غير مقبولة. فالاحتجاج على غياب الأمن وانعدام الاستقرار وعدم احراز التقدم في إقامة حكومة شرعية تستند إلى إرادة العراقيين نوع من المقاومة. وفي مقابل ذلك، فإن قتل الرعايا واعتقالهم بدعوى أنهم من جيوب النظام المخلوع يظل نوعاً من الاعتداء. إلا أن حال العراق قبل الحرب وبعدها لا تكاد تخضع للمنطق المتعارف عليه في الأوضاع الدولية، وتحديداً مفهوم السيادة وحق تقرير المصير والتزام الأوفاق الدولية. وبالارتباط مع ذلك، في الإمكان القول ان مفهوم المقاومة يبقى بدوره خاضعاً للالتباس، وما يزيده تعقيداً هو صعوبة تقبّل أن يقود الرئيس العراقي المخلوع صدام حسين أي نوع من المقاومة.

إلا أن حال العراق، كتجربة غير مسبوقة في العلاقات الدولية، تدفع إلى خلط الأوراق والمفاهيم. فما كان محرماً قبل الحرب الأميركية – البريطانية على العراق من رفض شن الحرب إلا بقرار صادر عن مجلس الأمن، أصبح واقعاً مسلماً به وفق منطق القوة والسيطرة، إلى درجة تراجع معها البحث عن ذرائع شن الحرب ما دام أنها نفذت. وبالتالي فإن انتهاك المتعارف عليه في القوانين والتجارب الإنسانية حين يصبح مقبولاً من التحالف، فلا شيء يحول دون أن يصبح واقعاً في الطرف الآخر، وهنا بعض من اشكالية الحال العراقية.

سيتراجع الكلام عن عراق ما بعد صدام إلى الخلف وتعطى الأسبقية لـ«استئصال» عراق المقاومة. وستغيب مقولة معاودة إعمار العراق وتنصيب حكومة شرعية واحلال الديموقراطية وتمكين الشعب من حكم نفسه، وتحل مكانها مقولات جديدة عن تصفية جيوب المقاومة واجراء المزيد من العمليات الجراحية القسرية على الجسد العراقي المنهك. وقد يكون الشيء الوحيد الذي تركه الأميركيون لمحض الصدفة هو اندلاع الحرائق التي لا يمكن إلا أن تزيد في عمر الاحتلال. ألم يقل الرئيس الأميركي جورج بوش إن جيوشه لن تظل في العراق لحظة واحدة أكثر مما يجب أو مما هو مطلوب؟ لكن هذا المطلوب والجواب عنه يُصاغان دائماً بأكبر درجات الغموض. وإذا كان المطلوب هو استتباب الأمن والاستقرار، فإن هذه المعادلة غائبة أمام تزايد أشكال المقاومة. وإذا كان المطلوب تشكيل الحكومة التي يقبل بها العراقيون، فهذا أصعب من أن تشكل في مربع سيطرة الدبابات واطلاق يد الجنود يفعلون ما يشاؤون. وإذا كان تثبيت عراق ما بعد صدام، فإن مجرد نقل شريط صوتي إلى محطة فضائية سيضرب الهدف في العمق.

ففي المحصلة، كانت إطاحة نظام صدام أسهل من المتوقع. تماماً كما كان انهيار الاتحاد السوفياتي سابقاً مدهشاً في تسلسله وتداعياته إلى درجة المفاجأة. لكن الأصعب هو ماذا بعد؟ فالأميركيون يمكن أن ينشغلوا الآن بهاجس الأشرطة أكثر من انشغالهم بالبحث عن أسلحة الدمار الشامل المزعوم. والعراقيون الذين استبشروا بسقوط نظام بغداد قد يزيدون في أحقادهم ضد الفلول المتبقية منه – إن كانت موجودة فعلاً – بدل طرح الأسئلة الحقيقية بشأن مستقبل البلاد.

كل حرب تراد في النهاية للوصول إلى سلام. لكن الحرب الأميركية – البريطانية على العراق كانت مختلفة. وما يحدث اليوم داخل العراق وفي جواره جزء من تداعيات حرب مدهشة بدأت وانتهت، إلا أن مأساتها غير مرجحة للنهاية.

محمد الأشهب

الحياة AL HAYAT
أسسها كامل مروة عام ١٩٤٦
رئيس التحرير: جورج سمعان
Editor-in-Chief: George Semaan

رئيس التحرير المساعد: غسان شربل
نائب رئيس التحرير: عبد الوهاب بدرخان
مديرا التحرير: زهير قصيباتي
عبدالله اسكندر
المدير العام: روبير جريديني

■ المكتب الرئيسي (لندن):
KENSINGTON CENTRE, 66 HAMMERSMITH ROAD, LONDON, W14 8YT
– التحرير: الهاتف: 020-76029988 الفاكس: 020-73714215 / 020-73714225 التلكس: 925746
– الادارة العامة: الهاتف: 0207-6029988 الفاكس: 0207-6024963 التلكس: 925751
– التوزيع: الهاتف: 0207-6052123 0207-6052122 الفاكس: 0207-6024514
■ مكتب باريس: 162 Rue du Faubourg Saint Honore 75008 - PARIS Tel: 42 25 9204 Fax: 42 25 9217
■ مكتب بيروت: الوسط التجاري – شارع المعرض – مبنى دار «الحياة» – ص.ب ١١/١٢٤٢
هاتف: ٤ / ٣ / ٢ / ١ / ٩٨٧٩٩٠ (٠١) فاكس التحرير: ٩٨٣٩٩٥ (٠١) فاكس الادارة: ٩٨٣٩٢١ (٠١)
■ مكتب الرياض: جرير بلازا – الدور الرابع – شارع العليا العام
ص.ب. ٦٨٩٠٧، الرياض ١١٥٣٧، الهاتف: ٤٦١٥٦٧٥ / ٤٦١٥٤٩٦ / ٤٦١٥٤٠٢، الفاكس: ٤٦١٥٣٢٥
ادارة التسويق: هاتف: ٤٦١ ٥٤٠٢، فاكس: ٤٦١ ٧٥٣٢ .
■ مكتب جدة: شارع الاندلس، بناية تهامة، الطابق الثالث. ص.ب. ٢٣٥٦٨، جدة ٢١٤٣٦، الهاتف: ٦٥٣٤٤٢٦، ٦٥٣٢٢٠٢ الفاكس: ٦٥٢٠١٥١
■ مكتب الدمام: الدمام، شارع الملك فهد، مبنى تهامة تليفاكس: ٠٣-٨٤٣٤١٠٠
■ مكتب القاهرة: ٨ شارع رستم المتفرع من شارع اميركا اللاتينية، شقة ٥ الدور الثاني، جاردن سيتي
الهاتف: ٧٩٥٠٠٤٠ و ٧٩٢٠١٦٩، الفاكس: ٧٩٥٨٠٤٣
■ مكتب دمشق: مزة فيلات غربية – برج تاله ط ٩ الهاتف: ٠٠٩٦٣١١٦٦١٠٠٠٠/١ الفاكس: ٠٠٩٦٣١١٦٦١٥٠٠٠
– الاعلانات: تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق
جدة – شارع الامير/محمد بن عبد العزيز (التحلية سابقاً)، مبنى بن حمران،
المملكة العربية السعودية، الهاتف: ٩٦٦-٢-٦٦١٧٧٧٧ (١٥ خطاً) – الفاكس: ٩٦٦-٢-٦٦١٧٧٤٤
TIHAMA - MEMS DUBAI tel:00 9714 3355888 Fax:00 9714 3342844 email: tihamamems@choueirigroup.com
● تصدر عن شركة الحياة الدولية للنشر
Registered as a newspaper at the Post Office
مزيد من المعلومات في موقع الحياة:
http://www.daralhayat.com